

## سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

(حاتم) بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي صالح عن أم هاني قالت سألت النبي عن قوله ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَايِبِكُمُ الْمُنْكَرُ﴾<sup>(1)</sup> قال كانوا يخذفون أهل الطريق ويسخرون منهم (خ م).

(سفيان) عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة سألني ابن عباس عن قول الله ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾<sup>(2)</sup> فقلت ذكر الله التسبيح والتهليل والتكبير فقال لا ذكر لله أكبر من ذكركم إياه. صحيح<sup>(3)</sup>.

موقف سعد بن أبي وقاص مع أمه

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [8/29]

<sup>(4)</sup>(مسلمة بن علقمة: حدثنا داود بن أبي هند، عن أبي عثمان أن سعداً قال: نزلت هذه الآية في: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ قال: كنت براً بأمي، فلما أسلمت، قالت: يا سعد! ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا، أو لا أكل، ولا أشرب، حتى أموت، فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه، فقلت: لا تفعلني يا أمه، إني لا أدع

(1) سورة العنكبوت: الآية 29.

(2) سورة العنكبوت: الآية 45.

(3) التلخيص 2/409.

(4) سير أعلام النبلاء 1/109 ترجمة سعد بن أبي وقاص.

ديني هذا لشيء، فمكثت يوماً لا تأكل ولا تشرب وليلة، وأصبحت وقد جُهدت فلما رأيت ذلك، قلت يا أمه! تعلمين والله لو كان لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني. إن شئت فكلي أو لا تأكلي. فلما رأته ذلك، أكلت.

رواه أبو يعلى في مسنده<sup>(5)</sup>.

### من صفات المنافقين

﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [11 - 10/29]

<sup>(6)</sup> (فإن قيل فالمنافقون كانوا مسلمين في الظاهر، قلنا: ما كانوا متصفين بخير، ولا كانوا مع الرسول ﷺ، ولا كانوا مع المؤمنين، قال الله فيهم: ﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ لَا وَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ وقال: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَإِثْمَهُمْ لِينَكُم مَّا هُمْ يَنْكُرُونَ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَّفْرُقُونَ﴾ [التوبة: 5E] وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145] أخبر تعالى أن المنافقين ليسوا من المؤمنين، ولا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بل مذنبين، وكذا ترى الرافضة، وقال: ﴿لَئِن لَّرَبِّنَا لَبَدَّلَ فِي قُلُوبِهِم تَرَضًا وَالْمُرْجُونَ فِي الْعَذَابِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا لَّا تُلْعَبُونَ بِكُلُوبِهِمْ﴾ [الأحزاب: 60] فلما لم يغره الله بهم ولم يقتلهم تفتيلاً دل على أنهم انتهوا، وما كان معه يوم الشجرة منهم إلا الجد بن قيس، فإنه اختبأ خلف بعيه. فبالجملة كان المنافقون مغمورين مقهورين مع الصحابة، ولا

(5) لم أجده في مسنده وأخرجه الترمذي في جامعه 341/5، وأحمد في المسند 1/181، وانظر تفسير الطبري 131/20، وابن أبي حاتم 3037/9، وابن الجوزي 257/6، وابن كثير 265/6، والسيوطي 452/2.

(6) المتقى من منهاج السنة النبوية ص 67.

سيما في آخر أيام النبي ﷺ وبعد تبوك لأن الله تعالى قال فيهم: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فتبين أن العزة للمؤمنين لا للمنافقين، فعلم أن العزة والقوة كانت لأصحاب محمد ﷺ، وأن المنافقين، كانوا أذلة بينهم، قال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْشُوكُمْ﴾ [التوبة: 62]: ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: 96]: وقال: ﴿وَلَا كُنْتُمْ لَكُمْ بَرِئُونَ﴾ [التوبة: 56].

هذه صفات الذليل المقهور، وأما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار فما زالوا أعز الناس بعد نبهم وقب موته، فلا يجوز أن يكون الأعداء من خاصة أصحاب محمد ﷺ منافقين ولا أذلاء.

### مشابهة الرافضة لليهود

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [41/29]

(7) ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وكل من تكب عوقب بالذل، قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبِأُوهٍ يَفْضَحُونَ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آ عمران: 112] فالجهل والغلو والتصديق بالباطيل دين النصارى، والكبر والحسد ورد الحق والذلة والتقية دين اليهود: وهؤلاء [الرافضة] قد التقطوا الكل وتمسكوا به. اللهم اهدنا وإياهم صراطك المستقيم، فيما ما يعمى الجهل والهوى بأهله!؟

(7) المتقى من منهاج السنة النبوية ص 451.

ذكر الله لا يعدله شيء سوى الموت في سبيل الله

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [45/29]

(8) (حريز عن عثمان: عن المشيخة، عن أبي بحرية، عن معاذ قال: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله. قالوا: يا أبا عبد الرحمن: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع، لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [45/29].

الإمام الذهبي يدافع عن أبي الوليد الباجي

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ  
بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُونَ﴾ [48/29]

قلت (9): لم يرد أنه ﷺ كتب شيئاً، إلا ما في «صحيح البخاري» من أنه يوم صلح الحديبية كتب اسمه «محمد بن عبد الله» (10). واحتج بذلك القاضي أبو الوليد الباجي، وقام عليه طائفة من فقهاء الأندلس بالإنكار، وبدعوه حتى كفره بعضهم. والخطب يسير، فما خرج عن كونه أمياً بكتابة سمه الكريم، فجماعة من الملوك ما عملوا من الكتابة سوى مجرد العلامة، ما عدهم الناس بذلك كاتبين، بل هم أميون، فلا عبرة بالنادر، وإنما لحكم للغالب والله تعالى من حكمته لم يلهم نبيه تعلم الكتابة، ولا قراءة فكتب حسماً لمادة المبطلين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُونَ﴾ ومع هذا فقد افتروا وقالوا: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَهَا فِيهِ نُمُوتُ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: 5] فانظر إلى قحة اتمعاندة فمن الذي كان بمكة وقت المبعث يدري أخبار الرسل والأمم

(8) سير أعلام النبلاء 1/455 ترجمة معاذ بن جبل.

(9) سير أعلام النبلاء 14/190 - 191 ترجمة ابن مندة.

(10) انظره مع الفتح 5/303.

الخالية؟ ما كان بمكة أحد بهذه الصفة أصلاً. ثم ما المانع من تعلم النبي كتابة اسمه واسم أبيه مع فرط ذكائه، وقوة فهمه، ودوام مجالسته لمن يكتب بين يديه الرحي والكتب إلى ملوك الطوائف؟ ثم هذه خاتمة في يده، ونقشه: محمد رسول الله، فلا يظن عاقل، أنه - عليه السلام - ما يفعل ذلك. فهذا كله يقتضي أنه عرف كتابه اسمه واسم أبيه، وقد أخبر الله بأنه - صلوات الله عليه - ما كان يدري ما الكتاب؟ ثم على الله تعالى ما لم يكن يعلم. ثم الكتابة صفة مدح، قال تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (4) ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ (5) [العلق: 4 - 5] فلما بلغ الرسالة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، شاء الله لنبيه أن يعلم الكتابة النادرة التي لا يخرج يمثلها عن أن يكون أمياً، ثم هو القائل: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»<sup>(11)</sup>. فصدق إخباره بذلك، إذ الحكم للغالب، فنفى عنه وعن [أمة] الكتابة والحساب لندرة ذلك فيهم وقتله، وإلا فقد كان فيهم كتاب الوحي وغير ذلك، وكان فيهم من يحسب، وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: 12].

### القرآن كلام الرب والقراءة فعل العبد

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [49/29]

قال البخاري<sup>(12)</sup>: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المثبت في [المصاحف، المسطور] المكتوب المرعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾<sup>(13)</sup>. وقال: يقال فلان حسن القراءة وروي

(11) متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان ص 280.

(12) تاريخ الإسلام 267/19.

(13) انظر كتاب خلق أفعال العباد للبخاري ص 26، وانظر تفسير ابن كثير 286/6.

القراءة. ولا يقال: حسن القرآن، ولا رديء القرآن. وإنما ينسب إلى العباد القراءة، لأن القرآن كلام الرب، والقراءة فعل العبد. وليس لأحد أن يشرع في أمر الله بغير علم، كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا وألفاظنا به شيء واحد. والتلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقرؤ<sup>(14)</sup>.

### أفعال العباد مخلوقة ومن أفعالهم القراءة

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [49/29]

وقال<sup>(15)</sup> الحاكم: حدثنا أبو بكر محمد بن أبي الهيثم المطوعي بخارى، حدثنا محمد بن يوسف الفريري، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد فمخلوقة. فقد حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا أبو مالك، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ إن الله يصنع كل صانع وصنعه<sup>(16)</sup>.

وبه قال: وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة.

قال البخاري<sup>(17)</sup>: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة.

فأما القرآن المتلو، المبين المثبت في المصاحف، المسطور المكتوب، المرعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.

(14) انظر كتاب خلق أفعال العباد للبخاري ص 26، وانظر تفسير ابن كثير 6/286.

(15) سير أعلام النبلاء 12/454 - 455 ترجمة أبو عبد الله البخاري.

(16) انظره في كتاب خلف أفعال العباد ص 25.

(17) المصدر السابق ص 26.

الرافضة أوفر نصيب من الكذب والافتراء

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ

كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ [68/29]

(18) فهم - أي الرافضة - يعمدون إلى الأمور الثابتة المتواترة فينكرونها، وإلى الأمور المعدومة أو المختلفة فيثبتونها، فلهم أوفر نصيب من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ فتراهم يؤمنون - والله - بالكذب ويكذبون بالحق، [وهذا حال المرتدين. وهم يدعون أن أبا بكر وعمرو من اتبعهما ارتدوا عن الإسلام، وقد علم الخاص والعام أن أبا بكر هو الذي قاتل المرتدين] فيالله كيف نخاطب من يزعم أن أهل الإمامة مظلومون مسلمون!).

(18) المتقى من منهاج السنة النبوية ص 273.

